

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۚ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝﴾

[النصر: 1 - 3]

✽ مُنَاسَبَةُ السُّورَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

دين الله غالب
مُنْتَصِر، ودين
الْكُفْر زَائِلٌ
مُضْمَجَلٌ

لَمَّا اخْتَتَمَ النَّظْمُ سُورَةَ (الكَافِرُونَ) بِأَنَّ لِكُلِّ دِينٍ الْمُخْتَصَّ بِهِ، وَأَنَّ كُلَّ دِينٍ مُخَالِفٌ لِلدِّينِ الْآخَرِ، فَلَا يُمَكِّنُ التَّوَافُقُ فِي الْعِبَادَةِ بَيْنَ الدِّينَيْنِ؛ نَاسَبَ أَنْ يُبَيِّنَ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا مِنْ جِهَةِ الْعُلُوِّ وَالْغَلْبَةِ؛ فَذَكَرَ أَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ دِينُ اللَّهِ غَالِبٌ مُنْتَصِرٌ وَدِينَ الْكُفْرِ زَائِلٌ مُضْمَجَلٌ⁽¹⁾.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿نَصْرٌ﴾: (نصر) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على إتيانِ خيرٍ وإيتائه، ونَصَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ: آتَاهُمُ الظَّفَرَ عَلَى عُدُوِّهِمْ⁽²⁾، وَنَصَرْتُهُ عَلَى عَدُوِّهِ، وَنَصَرْتُهُ مِنْهُ نَصْرًا: أَعْنَتُهُ وَقَوَّيْتُهُ، وَالْفَاعِلُ نَاصِرٌ وَنَصِيرٌ، وَجَمْعُهُ أَنْصَارٌ، وَالنُّصْرَةُ بِالضَّمِّ اسْمٌ مِنْهُ⁽³⁾، وَالنَّصْرُ ضِدُّ الْخَذَلِ. وَالنَّصْرُ أَيْضًا: السَّيْبُ وَالْعَطَاءُ⁽⁴⁾، وَمِنْ الْمَجَازِ: أَرْضٌ مَنْصُورَةٌ: مَغِيثَةٌ، وَنَصَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ أَغَاثَهَا⁽⁵⁾، وَالتَّحْقِيقُ: أَنَّ الْأَصْلَ الْوَاحِدَ فِي الْمَادَّةِ: هُوَ إِعَانَةٌ فِي قِبَالِ مُخَالِفٍ⁽⁶⁾. وَالْمُرَادُ بِ﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾ فِي الْآيَةِ: تَأْيِيدُهُ وَإِعَانَتُهُ الْمُسْلِمِينَ فِي قِبَالِ الْكَافِرِينَ الْمُخَالِفِينَ.

(1) الهرري، حقائق الرُّوح والزَّيْحَان: 403 / 32، والزَّحَلِي، التفسير للنير: 445 / 30، ومجمع البحوث، التفسير الوسيط: 2038 / 10.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نصر).

(3) الفَيَّومِي، للصباح للنير: (نصر).

(4) ابن دريد، الاشتقاق: (نصر).

(5) الزَّمَخْشَرِيُّ، أساس البلاغة: (نصر).

(6) للصَّطْفَوِي، التحقيق في كلمات القرآن: 136 / 12.

(2) ﴿وَالْفَتْحُ﴾: (فتح) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على خلافِ الإغلاق، يقالُ: فتحتُ البابَ وغيرَهُ فَتَحًا، والفتحُ: النَّصرُ والإظفارُ⁽¹⁾، وَفَتْحَتُهُ فانفتحَ: فَرَّجَتُهُ فانفَرَجَ، وبابٌ مفتوحٌ خلافُ المردودِ والمُقفلِ، وفتحَ السُّلطانُ البلادَ: غلبَ عليها وتملَّكها فَهَرًا⁽²⁾، والفتحُ: إزالةُ الإغلاقِ والإشكالِ، وذلكَ ضَرْبان؛ أحدهُما: يُدْرِكُ بالبصرِ، والثاني: يُدْرِكُ بالبصيرةِ كفتحِ الهَمِّ⁽³⁾، وفتحَ بينَ القومِ: قَضَى، وفتح دارَ العدوِّ: دخلها⁽⁴⁾، والنَّصرُ من لوازمِ الفتحِ وأثارِهِ، وقد يكونُ النَّصرُ من مُقَدِّماتِ الفتحِ في مرتبةِ الإيجادِ لا الإبقاءِ⁽⁵⁾. والمرادُ به في الآية: فتحُ مَكَّةَ بالغلبةِ والقهرِ والتَّمْلِكِ.

(3) ﴿أَفْوَاجًا﴾: (فوج) كلمة تدلُّ على تَجْمُعٍ، من ذلك الفوجُ: الجماعةُ من النَّاسِ، والجمعُ أفْوَاجٌ⁽⁶⁾، يقالُ: فَاجٌ يفْوَجُ فهو فَيْجٌ، مثلُ هانٍ يَهْونُ فهو هَيْنٌ، ثمَّ يخفَّفانِ، فيقالُ: فَيْجٌ وهَيْنٌ⁽⁷⁾، والفوجُ: الجماعةُ المارَّةُ المُسرَّعةُ⁽⁸⁾، والتَّحْقِيقُ أنَّ الأصلَ الواحدَ في المادة: هو قطعٌ من شيءٍ يتراءى فيه جريانٌ. وجماعةٌ من النَّاسِ يُسرَّعونَ إلى جانبٍ⁽⁹⁾. والمرادُ به في الآية: انتشارُ الإسلامِ والدُّخولُ فيه على شكلِ جماعاتٍ مُتسارعةٍ.

❖ المعنى الإجمالي:

والمعنى: إذا رأيتَ نصرَ اللهَ لدينِ الحقِّ، وانهزامَ أهلِ الشُّركِ وخذلانَهُمْ، وفتحَ اللهَ بينَكَ وبينَ قومِكَ بجعلِ الغلبةِ لك عليهم،

بعد اكتمال
التكليف الأقصى
الاستعداد
للحقوق بالرفيق
الأعلى

(1) ابن فارس، معاني اللغة: (فتح).

(2) الفيومي، الصباح النير: (فتح).

(3) الرَّاغب، المفردات: (فتح).

(4) ابن القوطية، الأفعال: (فتح).

(5) اللصطوفي، التحقيق في كلمات القرآن: 15/9.

(6) ابن فارس، معاني اللغة: (فوج).

(7) ابن منظور، لسان العرب: (فوج).

(8) الرَّاغب، المفردات: (فوج).

(9) اللصطوفي، التحقيق في كلمات القرآن: 142/9.

ورَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِكَ وَيَنْضَوُونَ تَحْتَ لَوَائِكَ جَمَاعَاتٍ لَا أَفْرَادًا، كَمَا كَانَ فِي بَدْءِ أَمْرِكَ؛ فَتَزَّرَهُ رَبُّكَ وَقَدَّسَهُ عَنْ أَنْ يُهْمَلَ الْحَقُّ وَيَدَّعَى لِلْبَاطِلِ يَتَغَلَّبُ عَلَيْهِ، وَعَنْ أَنْ يُخْلَفَ وَعْدُهُ الَّذِي وَعَدَكَ بِهِ؛ فَإِنَّهُ هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي إِذَا أَهْمَلَ الْكَافِرِينَ فَلَنْ يُضَيِّعَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ⁽¹⁾، وَقَدْ فَهِمَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ هَذَا أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ تَمَّ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يُلْحَقَ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى⁽²⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة ﴿إِذَا﴾ والغرض منها:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بلفظ ﴿إِذَا﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الظَّرْفِ الْاِسْتِقْبَالِيِّ الْمُتَضَمِّنِ مَعْنَى الشَّرْطِ، قَالَ ابْنُ عَاشُورٍ: "يُسْتَعْمَلُ (إِذَا) لِلزَّمَنِ الْمُسْتَقْبَلِ غَالِبًا، وَلِذَلِكَ يُضَمَّنُ مَعْنَى الشَّرْطِ غَالِبًا، وَيَكُونُ الْفِعْلُ الَّذِي تُضَافُ إِلَيْهِ بَصِيغَةً الْمَاضِي غَالِبًا؛ لِإِفَادَةِ التَّحْقُّقِ، وَ﴿إِذَا﴾ هُنَا مُضْمَنَةٌ الشَّرْطِ لَا مُحَالَةً؛ لَوْجُودِ (الفاءِ) فِي قَوْلِهِ: ﴿فَسَيَحْجِمِدُ رَبُّكَ﴾، وَلَمْ يَخْتَلِفْ أَهْلُ التَّأْوِيلِ أَنَّ الْمُرَادَ بِ(الْفَتْحِ) فِي الْآيَةِ هُوَ فَتْحُ مَكَّةَ، وَعَلَيْهِ فَالْفَتْحُ مُسْتَقْبَلٌ وَدُخُولُ النَّاسِ فِي الدِّينِ أَفْوَاجًا مُسْتَقْبَلٌ أَيْضًا، وَهُوَ الْأَلْيَقُ بِاسْتِعْمَالِ (إِذَا)"⁽³⁾، فَيَكُونُ مِنْ قِبَلِ الْإِخْبَارِ بِالْغَيْبِيَّاتِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ الَّتِي تَحَقَّقَتْ فِي الْوَاقِعِ، وَذَلِكَ مِنْ دَلَائِلِ نَبُوَّتِهِ وَصِدْقِ رِسَالَتِهِ ﷺ، قَالَ الرَّازِيُّ: "وَقَوْلُهُ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ يَقْتَضِي الْاِسْتِقْبَالَ، إِذْ لَا يُقَالُ فِيمَا وَقَعَ: (إِذَا جَاءَ وَإِذَا وَقَعَ)، وَإِذَا صَحَّ هَذَا الْقَوْلُ صَارَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ جُمْلَةِ الْمُعْجَزَاتِ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ خَبِرَ وَجِدَ مُخْبِرُهُ بَعْدَ حِينٍ مُطَابِقًا لَهُ، وَالْإِخْبَارُ عَنِ الْغَيْبِ مُعْجَزٌ"⁽⁴⁾.

من دلائل النبوة
الإخبار بالأمور
المستقبلية
المتحققة

(1) الهرري، حقائق الروح والزيجان: 410 / 32.

(2) الهرري، حقائق الروح والزيجان: 412 / 32.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 590 / 30.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 339 / 32.

بقي أن السّورة إنّ نزلت بعد الفتح والنّصر - كما في بعض الروايات - تكون ﴿إِذَا﴾ للظرف الماضي المحض، فلا تتضمن معنى الشرط، و(الفاء) في ﴿فَسَبِّحْ﴾ حينئذ عاطفة للتّرتيب، ومع ذلك قال القنوني: "قيل: إنّها نزلت بعد فتح مكّة؛ فيكون ﴿إِذَا﴾ حينئذ بمعنى (إِذْ)، فهي متعلّقة بمقدّر مثل (كَمُلَ الأمر) وليس بمتعلّق بقوله: ﴿فَسَبِّحْ﴾ حتّى يُقال كيف يصحّ قوله: ﴿فَسَبِّحْ﴾، وقيل فكلمة ﴿إِذَا﴾ حينئذ باعتبار أنّ بعض ما في حيّزها - أعني رؤية دخول الناس أفواجا - غير منقضى بعد؛ فحينئذ يكون ﴿إِذَا﴾ للاستقبال بذلك الاعتبار، فيصحّ تعلّقها بقوله: ﴿فَسَبِّحْ﴾ على ما اختاره الأكثرون"⁽¹⁾.

نكتة تحديد العامل في ﴿إِذَا﴾:

اختلف أهل العربية والتفسير في تحديد عامل ﴿إِذَا﴾ على أقوال متعدّدة، هي⁽²⁾:

الأول: العامل ﴿جَاءَ﴾، وهو قول مكّي، وإليه ذهب أبو حيّان⁽³⁾، ويضعفه أنّ المضاف إليه لا يعمل في المضاف. وأجيب: بأنّ (إذا) ليست مضافة عند المحقّقين.

الثاني: العامل ﴿فَسَبِّحْ﴾، وإليه ذهب الزّمخشري ومُتابعوه، وضعّفه أبو حيّان بأنّ ما بعد (فاء) الجواب لا يعمل فيما قبلها، وأجيب بأنّه: "لا يمتنع (الفاء) عن العمل عند الأكثرين"⁽⁴⁾، وبناءً على الوجهين المذكورين يكون النّظم خالياً من التوكيد؛ لأنّ العامل ﴿جَاءَ﴾ أو ﴿فَسَبِّحْ﴾ قد تسلّط على ﴿إِذَا﴾.

الثالث: العامل محذوف، أي: (اذكّر) الحادث الكائن وقت

أثر تقدير العامل
على دلالة
(الفاء) في النّظم
الكامل

(1) القنوني، حاشية على تفسير البيضاوي: 473 / 20.

(2) القنوني، حاشية على تفسير البيضاوي: 472 / 20.

(3) السمين الحلبي، الدّر للصون: 139 / 11.

(4) القنوني، حاشية على تفسير البيضاوي: 472 / 20.

مَجِيءِ النَّصْرِ؛ عَلَى أَنَّ «إِذَا» ظَرْفٌ لَا شَرْطِيَّةٌ، وَ(الفاء) فِي «فَسَيِّحٌ» لِلتَّرْتِيبِ بِمَا قَبْلَهُ.

الرَّابِعُ: الْعَامِلُ مُحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ (سَبَّحَ)، فَيَكُونُ «فَسَيِّحٌ» تَفْسِيرًا لَهُ. وَيُضَعِّفُهُمَا أَنَّ عَدَمَ التَّقْدِيرِ أَوْلَى مِنَ التَّقْدِيرِ.

وَالَّذِي يَتَرَجَّحُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ «إِذَا» ظَرْفِيَّةٌ شَرْطِيَّةٌ، وَالْعَامِلَ فِيهَا «فَسَيِّحٌ» الْمَذْكُورَ، وَ(الفاء) سَبَبِيَّةٌ غَيْرُ مَانِعَةٍ مِنْ تَأْثِيرِ الْفِعْلِ فِيهَا قَبْلَهَا؛ خَاصَّةً أَنَّ الْمَعْنَى دَالٌّ عَلَى الرِّبْطِ بَيْنَ الظَّرْفِ وَجَوَابِهِ.

دلالة فعل (المجيء) مادةً وصيغةً:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِفِعْلِ (الْمَجِيءِ) مَاضِيًّا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ»؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَحَقُّقِ وَقُوعِ الْفِعْلِ الْمُسْتَقْبَلِيِّ؛ لِأَنَّ «إِذَا» ظَرْفٌ لِلْمُسْتَقْبَلِ، فَتَدْخُلُ عَلَى الْمَاضِي غَالِبًا؛ لِإِفَادَةِ تَحَقُّقِ الْوُقُوعِ، بِخِلَافِ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّرَدُّدِ وَالشَّكِّ، وَلِيَدُلَّ بِمَا دَتِهِ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ الْجَائِيَّ يَتَحَرَّكُ بِصُعُوبَةٍ وَمَشَقَّةٍ وَعَنْتِ وَجْهًا؛ فَيَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ وَانْتِظَارٍ لِلْفَرَجِ؛ وَلِذَا لَمْ يُقَلِّ النَّظْمُ (أَتَى)؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى السُّهُولَةِ فِي الْإِقْبَالِ.

دلالة الاستعارة التصريحية أو المكنية في «جَاءَ نَصْرُ»:

اسْتَعَارَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ (الْمَجِيءَ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» بِأَنَّ شَبَّهُ الْحُصُولِ وَالتَّحَقُّقِ لِلْفَتْحِ وَالنَّصْرِ بِالْمَجِيءِ بِجَامِعِ الْحُصُولِ⁽¹⁾، ثُمَّ اشْتَقَّ مِنَ الْمَجِيءِ الْفِعْلَ «جَاءَ» عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِعَارَةِ التَّصْرِيحِيَّةِ التَّبَعِيَّةِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْاسْتِعَارَةَ مَكْنِيَّةً⁽²⁾؛ بِأَنَّ شَبَّهُ الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ بِذَاتِ يَصِحُّ مِنْهَا الْإِقْبَالُ وَالْمَجِيءُ، ثُمَّ حَذَفَ الْمَشَبَّهُ بِهِ وَأَبْقَى مِنْ خَوَاصِّهِ وَلَوَازِمِهِ الْفِعْلَ «جَاءَ»، وَأَسْنَدَهُ إِلَيْهِمَا عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِعَارَةِ التَّخْيِيلِيَّةِ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 590.

(2) الهرري، حقائق الروح والزيجان: 32 / 414.

لَمْ يَتَحَقَّقِ
الْفَتْحُ وَالنَّصْرُ إِلَّا
بِالْمَشَقَّةِ وَالْعَنْتِ
وَالصَّبْرِ

النَّصْرُ وَالْفَتْحُ
قَادِمَانِ وَجَالِبَانِ
لِلْمَنْحِ

والغرض من الاستعارتين تجسيم المعنويات، والمبالغة في تصوير حصول النصر والفتح، حتى إنهما ليتحرَّكان كالأجسام⁽¹⁾. قال القونوي معلقاً على كلام البيضاوي: "للإشعار بأنَّ المقدرات مُتَوَجِّهَةٌ من الأزل إلى أوقاتها المُعَيَّنة لها فتقربُ منها شيئاً فشيئاً؛ ما نصُّه: "فهذا التَّوجُّه كالتَّسِير في كونه سبباً لوصول المطلوب؛ كأنَّها سائرة من الأزل إلى وقته المُعَيَّن، ولما كان التَّوجُّه مُشَابِهاً للتَّسِير، كان حصولُ المقدرات مُشَابِهاً بِالْجَيِّئَةِ"⁽²⁾، وعلَّلَ الرَّازِي وجهَ الاستعارة بقوله: "إِنَّ اللَّفْظَ دَلَّ عَلَى أَنَّ النَّصْرَ كَانَ كَالْمُشْتَقِّ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ ذَلِكَ النَّصْرَ كَانَ مُسْتَحَقًّا لَهُ بِحُكْمِ الْوَعْدِ، فَالْمُقْتَضَى كَانَ مَوْجُودًا إِلَّا أَنْ تَخْلُفَ الْأَثَرُ كَانَ لِفَقْدَانِ الشَّرْطِ، فَكَانَ كَالثَّقِيلِ الْمُعْلَقِ؛ فَإِنَّ ثِقَلَهُ يَوْجِبُ الْهَوِيَّ، إِلَّا أَنَّ الْعَلَاقَةَ مَانِعَةً، فَالثَّقِيلُ يَكُونُ كَالْمُشْتَقِّ إِلَى الْهَوِيَّ، فَكَذَا هَاهُنَا النَّصْرُ كَانَ كَالْمُشْتَقِّ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ"⁽³⁾.

دلالة التعبير بالجملة الفعلية الشرطية في ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرٌ﴾:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِالْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ الشَّرْطِيَّةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ بِهَا عَلَى حَدُوثِ أَمْرٍ مُسْتَقْبَلِيٍّ يَنْبَغِي أَنْتِظَارُ وَقْتِ حُصُولِهِ؛ فَيَكُونُ تَطْمِينًا لِلنَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، وَتَسْلِيَةً لَهُ عَلَى مَا يَوَاجِهُهُ مِنْ عَنَتٍ وَمَشَقَّةٍ فِي تَبْلِيغِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ، وَقِيَامِهِ بِالتَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ.

الوعدُ بالبشرى
تطمينٌ وتسليَّةٌ
وذكرى

نكتة التعبير بلفظ المصدر ﴿نَصْرٌ﴾:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِلَفْظِ الْمَصْدَرِ ﴿نَصْرٌ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْإِعَانَةِ وَالتَّائِيدِ وَالْإِظْهَارِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ؛ وَالْغَرَضُ مِنَ التَّعْبِيرِ عَنْهُ بِالْمَصْدَرِ الْمَبَالِغَةُ فِي تَحْقِيقِ النَّصْرِ،

المبالغة في
الانتصار لكمال
الإعانة والإظهار

(1) الطَّبِيبُ، فتوح الغيب: 613 / 16.

(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 473 / 20، والهرري، حقائق الروح والريحان: 414 / 32.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 336 / 32.

حَتَّى إِنَّ حَقِيقَةَ النَّصْرِ الْمَصْدَرِيَّةَ وَاقِعَةً وَحَاصِلَةً، وَقَدْ نَوَّهَ الْقَوْنَوِيُّ بِدَقَّةٍ عِبَارَةَ الْبِيضَاوِيِّ فِي تَفْسِيرِ ﴿نَصْرٌ﴾ بِقَوْلِهِ: "إِظْهَارُهُ إِيَّاكَ عَلَى أَعْدَائِكَ"، بِمَا نَصُّهُ: "مَنْ الظُّهُورُ بِمَعْنَى الْغَلْبَةِ، وَهَذَا أَبْلَغُ مِنَ التَّفْسِيرِ بِ(الإعانة) فَقَطْ، وَأَشَارَ بِهِ إِلَى أَنَّ النَّصْرَ هُوَ النَّصْرُ الْمُتَعَدِّي (على)؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 250)" (1).

نوع الإضافة في ﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾:

الإضافة
العهدية أولى
من الإضافة
الجنسية

أَصَافَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ لَفْظَ ﴿نَصْرٌ﴾ إِلَى اسْمِ الْجَلَالَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ بِهَا إِمَّا عَلَى الْعَهْدِ: "بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ مَفْعُولَ ﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾ هُوَ الرَّسُولُ ﷺ، بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ: ﴿فَسَبِّحْ﴾، فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالنَّصْرِ النَّصْرَ الْمَذْكُورَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (الفتح: 3)، وَاحْتِمَالُ كَوْنِهَا لِلْجِنْسِ خِلَافَ الظَّاهِرِ، وَلِذَا مَرَّضَهُ الْبِيضَاوِيُّ بِقَوْلِهِ: "وَقِيلَ: الْمُرَادُ جِنْسُ نَصْرِ اللَّهِ... إلخ"، فَيَكُونُ الْمَفْعُولُ الْمَحْذُوفُ (الْمُؤْمِنِينَ)، وَيُعْلَمُ نَصْرُهُ ﷺ بِالْأَوْلَوِيَّةِ، وَهَذَا أَوْلَى مِنَ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ ﷺ يَدْخُلُ فِي الْمُؤْمِنِينَ دَخُولًا أَوَّلِيًّا" (2).

نكتة إضافة المصدر لفاعله في ﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾:

لولا المعونة
الإلهية،
لفشلت المساعي
البشرية

أَصَافَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ لَفْظَ الْمَصْدَرِ ﴿نَصْرٌ﴾ إِلَى فَاعِلِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْجُهْدَ الْبَشَرِيَّ فِي تَحْقِيقِ النَّصْرِ وَقِتَالِ الْأَعْدَاءِ وَالْغَلْبَةِ وَالظُّهُورِ عَلَيْهِمْ لَمْ يَكُنْ نَاجِحًا لَوْلَا الْمَعُونَةُ الْإِلَهِيَّةُ وَالتَّيْسِيرُ الرَّبَّانِيُّ، بِخَلْقِ الْقُوَّةِ عَلَى الْفِعْلِ وَالْإِقْدَارِ لَهُمْ عَلَيْهِ، وَخِذْلَانِ الْكَافِرِينَ وَإِفْشَالِ مَسَاعِيهِمْ (3)، فَفِي إِضَافَةِ النَّصْرِ إِلَى الْفَاعِلِ الْحَقِيقِيِّ تَرْبِيَّةً سُلُوكِيَّةً وَغَايَةً عَقْدِيَّةً عَظِيمَةً.

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 20 / 473.

(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 20 / 473.

(3) الهرري، حقائق الروح والزيجان: 32 / 406.

الغرض من الإضافة إلى اسم الجلالة:

أضاف النظم الكريم لفظ (المصدر) إلى اسم الجلالة في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؛ للدلالة على التفعيم والتعظيم لذلك النصر العزيز، وأنه ذو طبيعة مختلفة عن صور النصر العادية، فهو نصر تحقق على حين غرة وسرعة في الزمن؛ إذ تحول المسلمون من دور المدافع الذاب عن بيضة الإسلام، إلى منتصر غالب فاتح في غضون سنوات معدودات، ففي الإضافة تشريف وإعزاز لذلك النصر⁽¹⁾، وأنه مؤيد بالله، حاصل بقدرته وقوته ورضاه، وبذلك يزداد النبي الكريم ﷺ غبطة ورضا وسرورا بذلك النصر المؤيد من الملك العلام، فيزداد إقبالا على مولاه، مسارعا في تبليغ ما كلف به حتى يتحقق النصر والفتح الموعودان. قال ابن عاشور: "إضافة نصر إلى الله تُشعر بتعظيم هذا النصر، وأنه نصر عزيز خارق للعادة، اعتنى الله بإيجاد أسبابه، ولم تجر على متعارف تولد الحوادث عن أمثالها"⁽²⁾.

التفخيم
والتعظيم
بالنصر العزيز
من الملك العليم

نكتة العدول في الإضافة عن (الرّب) إلى العلم الجليل:

أضاف النظم الكريم لفظ (نصر) إلى العلم الجليل في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ دون الإضافة إلى اللفظ المشتق (الرّب)، وفي ذلك يقول الرازي متسائلا ومُجيبا: "لما ذكر وعدا مُستقبلا بالنصر، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ فذكر ذاته باسم (الله)، ولما ذكر النصر الماضي حين قال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ نَصْرُ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ﴾ [العنكبوت: 10] فذكره بلفظ (الرّب)، فما السبب في ذلك؟ الجواب: لأنه تعالى بعد وجود الفعل صار ربا، وقبله ما كان ربا لكن كان إلها"⁽³⁾، فالعلم دال على مجرد الذات، والرّب دال على

قُبليّة الإيجاد
وبُعديّة مؤثّرة
في التعبير
بربوبيّته
والوحيّته

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 32 / 336.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 590.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 32 / 337.

الذَّاتِ بقيامِ الرُّبُوبِيَّةِ في تلكِ الذَّاتِ، فيُلاحَظُ قبلَ الفعلِ الذَّاتُ وبعدَ الفعلِ الوُصفُ.

نُكْتَةُ حَذْفِ مَفْعُولِي (النَّصْرِ وَالْفَتْحِ):

حَذَفَ النَّظْمُ مَفْعُولِي (النَّصْرِ وَالْفَتْحِ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؛ لدلالةِ القرينةِ عليه، وهو قَوْلُهُ: ﴿فَسِيحْ﴾؛ فالمرادُ: نصرُ اللهِ إِيَّاكَ وفتحُهُ مَكَّةَ لَكَ، والغرضُ من الحذفِ الإيجازُ والاختصارُ، ويحتملُ أَنْ يكونَ المفعولُ (المؤمنينَ)، وينبني على ذلكِ كَوْنُ الإضافةِ عهدِيَّةً أَوْ جنسيَّةً كما تقدَّم، وجَوَزَ السَّمِينُ أَنْ يكونَ المقصودُ اللُّزومَ في المَصدِرِينَ بقوله: "ويجوزُ أَنْ يكونَ المقصودُ إذا جاءَ هذانِ الفِعْلانِ مِنْ غيرِ نظرٍ إلى مُتعلّقَيْهِما؛ كقوله: ﴿أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾" [النجم: 44] (1).

دلالةُ (الواو) في ﴿وَالْفَتْحُ﴾، والغَرَضُ منها:

عَبَّرَ النَّظْمُ الكَرِيمُ بـ(الواو) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؛ للدلالةِ على العطفِ المُفيدِ للجمعِ والاقترانِ بَيْنَ النَّصْرِ وَالْفَتْحِ، والعطفُ من عطفِ اللّازِمِ على المِلْزومِ، والمُسَبَّبِ على السَّبَبِ، ولذا قَدَّمَ النَّظْمُ النَّصْرَ على الفَتْحِ (2)؛ فيلزمُ من النَّصْرِ وهو الإِعانَةُ والتَّأييدُ والإِظهارُ على العدوِّ تحقُّقُ الفَتْحِ، وهو الامتلاكُ لبلَدِ العدوِّ بفتحِ حُصُونِهِ وأبوابِهِ، قال ابنُ عاشور: "والنَّصْرُ: الإِعانَةُ عَلَى العدوِّ، وَنَصَرَ اللَّهُ يَعْظُمُهُ التَّغْلُبُ عَلَى العدوِّ، وَالْفَتْحُ: امْتِلاكُ بَلَدِ العدوِّ وأَرْضِهِ لِأَنَّهُ يَكُونُ بِفَتْحِ بابِ البَلَدِ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾" [البائدة: 23] (3).

دلالةُ التَّعْرِيفِ بـ(أل) في (الفَتْحِ):

عَرَّفَ النَّظْمُ لفظَ (الفَتْحِ) بـ(أل) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ

الإيجازُ
والاختصارُ من
جماليَّاتِ النَّظْمِ
ذِي الأسرارِ

غايةُ الانتصارِ
الكريمِ تحقيقُ
الفتحِ المُبينِ

الأصلُ هو العَهْدُ
وإنجازُ الوَعْدِ

(1) السَّمِينُ الحَلِيبِي، الدَّرُّ للصونِ، 11/ 139.

(2) الفخر الرَّايزي، مفاتيح الغيب: 32/ 336، والهريري، حقائق الرُّوح والريحان: 32/ 414.

(3) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ والتَّنْوِيرُ: 30/ 590.

نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ؛ للدلالة بها على العهد المعلوم والمعروف عند المسلمين والعرب من أهل مكة وغيرهم المختص بـ (فتح مكة)؛ فهي الفتح الأعظم الذي بسببه توافد أهل مكة والعرب جميعاً للدخول في دين الله أفواجا⁽¹⁾. ورجَّحه البيضاوي والقنوي بقوله: "قوله: (فتح مكة)؛ فاللأم للعهد أو عوض عن المضاف إليه، وسبب العهديَّة هو كونه حاضراً في الذهن، ويترقب إليه المؤمنون، ولذلك سُمِّي فتح الفتوح"⁽²⁾.

ولو ذهبنا إلى أن (أل) عوض عن المضاف إليه، فإنَّ الإضافة تكون للعهد، قال السمين: "و(أل) في (الفتح) عوض من الإضافة، أي: وفتَّحه، عند الكوفيَّين، والعائدُ محذوفٌ عند البصريَّين، أي: والفتح منه، للدلالة على ذلك"⁽³⁾.

سرُّ التَّغَايُرِ بَيْنَ الْإِضَافَةِ وَالتَّعْرِيفِ:

غَايَرِ النَّظْمُ الْكَرِيمَ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ (النَّصْرِ وَالْفَتْحِ)؛ إذ عَرَّفَ النَّصْرَ بِالْإِضَافَةِ، فِي حِينَ عَرَّفَ الْفَتْحَ بـ (أل) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؛ وَعَلَّ الرَّازِيُّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "فَإِنْ قِيلَ: لِمَ ذُكِرَ النَّصْرُ مُضَافاً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَذُكِرَ الْفَتْحُ بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ؟ الْجَوَابُ: الْأَلِفُ وَاللَّامُ لِلْمَعْهُودِ السَّابِقِ، فَيَنْصَرِفُ إِلَى فَتْحِ مَكَّةَ"⁽⁴⁾. وَالَّذِي يَبْدُو أَنَّ إِضَافَةَ (النَّصْرِ) إِلَى اسْمِ الْجَلَالَةِ لَمَّا كَانَتْ سَبَباً لِلْفَتْحِ أَظْهَرَ النَّظْمُ فَاعَلَ النَّصْرَ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى، فَيَكُونُ الْفَتْحُ لَازِماً لِذَلِكَ النَّصْرِ الْمُؤَيَّدِ بِإِعْلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى نَبِيَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ، فَكَانَتِ (اللَّامُ) كَافِيَةً لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْفَتْحَ بِإِقْدَارِ اللَّهِ، مَا دَامَ أَنَّ سَبَبَهُ كَانَ بِالْإِقْدَارِ الْإِلَهِيِّ الْمَحْضِ وَالْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ التَّامَّةِ، وَيُمْكِنُ أَنْ تُجْعَلَ الْإِضَافَةُ

خَالِقُ الْقَوَى
وَالْقَدَرُ يَنْصُرُ
نَبِيَّهُ عَلَى كُلِّ شَرٍّ
مُسْتَطَرُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 591/30.

(2) القنوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 473/20.

(3) السمين الحلبي، الذر للصون: 139/11.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 339/32.

للعوموم والتعريف بـ (أل) للخصوص، فيكون النصر الواقع في المعارك سبباً لذلك الفتح، فعرف العام بالإضافة، وعين الخاص بـ (أل).

دلالة (الواو) والغرض منها:

عبر النظم الكريم بـ (الواو) في قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ﴾؛ للدلالة بها على العطف المفيد للجمع والاقتران بين المجيء للنصر والفتح والرؤية للناس، ولما كان المعطوف عليه مرتبطاً بالطرف المتضمن لمعنى الشرط، فإن المعطوف قد تضمن ذلك أيضاً؛ فيكون الأمر بالتسييح جواباً عن كل من المعطوف والمعطوف عليه، والغرض من العطف: الجمع بين التحقق المستقبلي للنصر والفتح ورؤية الناس يتوافدون على الدخول في الدين أفواجا، وهو من الإخبار بالغيب، الدال على صدق النبوة وحقية الرسالة الإسلامية.

دلالة فعل (الرؤية) مادةً وصيغةً:

عبر النظم الكريم بفعل (الرؤية) ماضياً في قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ﴾؛ للدلالة بصيغته على تحقق فعل الرؤية تحققاً مقطوعاً به، لا على سبيل الفرض والاحتمال، وليدل بمادته إما على الرؤية العلمية؛ فيكون بمعنى العلم والاعتقاد، أي: يتحقق لك العلم اليقيني بدخول الناس في الدين، وإما بمعنى الرؤية البصرية، أي: فتبصر الناس داخلين في الدين، والذي يتناسب مع تحقق وقوع الفعل وتأكيده الحصول للأمر المستقبلي هو حمل الرؤية على الرؤية البصرية؛ فيكون المجيء للنصر والفتح والرؤية أمراً متحققاً محسوساً به، قال القنوي: "وهذا هو الظاهر؛ لأن الدخول من المبصرات؛ إذ الرؤية وإن وقعت على (الناس) لكن المراد الدخول، لكونه قيداً له، ومحط الفائدة القيد"⁽¹⁾.

الجمع والاقتران
في الحوادث
المستقبلية
الزمان

الرؤية بالعين
والمقل أدل من
العلم بالعقل
والفكر

(1) القنوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 475، وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 592.

دلالة مرجع ضمير الفاعل في (رأيت):

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِـ(تاء) الْفَاعِلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَأَيْتُ النَّاسَ يَدْخُلُونَ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ بِهَا إِمَّا عَلَى الْحَقِيقَةِ - كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ - بِقَرِينَةِ ﴿فَسَبِّحْ﴾، فَيَكُونُ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ الْمُخَاطَبُ بِذَلِكَ، أَوْ عَلَى الْمَجَازِ بِأَنْ يُرَادَ بِهِ كُلُّ مَنْ يَتَأَتَّى مِنْهُ الرُّؤْيَا وَالْإِبْصَارُ مِمَّنْ حَضَرَ ذَلِكَ التَّوَافُدَ وَرَأَاهُ، فَإِنَّ الضَّمِيرَ قَدْ يُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ الْعَمُومُ مَجَازًا، وَيَكُونُ ﴿فَسَبِّحْ﴾ حِينَئِذٍ عَامًّا لَيْسَ مَخْتَصًّا بِالنَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، وَالَّذِي يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ عَائِدٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَإِرْشَادٌ لِأُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ⁽¹⁾.

خِطَابُ النَّبِيِّ
الْكَرِيمِ بِمَا
يَصْلُحُ إِرْشَادًا
لِجَمِيعِ الْمُتَّقِينَ

دلالة التعريف بـ(أل) في ﴿النَّاس﴾:

عَرَّفَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِـ(أل) لَفْظَ ﴿النَّاس﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَأَيْتُ النَّاسَ يَدْخُلُونَ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ بِهَا إِمَّا عَلَى الْعَهْدِ الصَّادِقِ بِأَقْوَامٍ مُعَيَّنَةٍ كَأَهْلِ مَكَّةَ وَالْيَمَنِ⁽²⁾، أَوْ عَلَى الْاسْتِغْرَاقِ الْعُرْفِيِّ الصَّادِقِ بِالْكَثِيرِ مِنَ النَّاسِ⁽³⁾، قَالَ ابْنُ عَاشُورٍ: "وَالْتَعْرِيفُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِلِاسْتِغْرَاقِ الْعُرْفِيِّ، أَيُّ: جَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ يَخْطُرُونَ بِالْبَالِ لِعَدَمِ إِرَادَةِ مَعْهُودِينَ مُعَيَّنِينَ، وَلِاسْتِحَالَةِ دُخُولِ كُلِّ إِنْسَانٍ فِي دِينِ اللَّهِ بِدَلِيلِ الْمُشَاهَدَةِ، فَالْمَعْنَى: (وَرَأَيْتُ نَاسًا كَثِيرِينَ أَوْ وَرَأَيْتُ الْعَرَبَ)"⁽⁴⁾، وَالْغَرَضُ مِنْ تَسْمِيَةِ الدَّاخِلِينَ فِي الدِّينِ ﴿النَّاس﴾ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّهُمُ الْأَحَقُّ بِالتَّسْمِيَةِ مِنْ غَيْرِهِمْ؛ فَكَأَنَّهُمُ النَّاسُ الْعُقَلَاءُ الَّذِينَ اخْتَارُوا الْحَقَّ مِنْهَا جَا، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ فَلَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَصْلًا؛ لِعَدَمِ الْإِنْتِفَاعِ بِعَقْلِهِ، قَالَ الرَّازِيُّ: "الْمَقْصُودُ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْعَقْلِ إِنَّمَا هُوَ الدِّينُ وَالطَّاعَةُ، عَلَى مَا قَالَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾" (الذَّابِيَات: 56)؛ فَهَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ الدِّينِ الْحَقِّ وَبَقِيَ عَلَى الْكُفْرِ،

الْعَاقِلُ الْمُسْتَجِئُ
لِقَبْلِ النَّاسِ،
مَنْ أَمِنَ مِنْ شَرِّ
الْوَسْوَاسِ

(1) الْهَرَبِيُّ، حُدُوقِ الرُّوحِ وَالزَّيْحَانِ: 407 / 32.

(2) الْوَاحِدِيُّ، التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ: 400 / 24.

(3) الْهَرَبِيُّ، حُدُوقِ الرُّوحِ وَالزَّيْحَانِ: 414 / 32.

(4) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 593 / 30.

فَكَأَنَّهُ لَيْسَ بِإِنْسَانٍ⁽¹⁾، فيكونُ في الاستغراقِ العُرفيِّ مدحٌ لَهُم وتهكُّمٌ وتعريضٌ بغيرهم.

بقي أنَّ ﴿النَّاسِ﴾ مفعولٌ للرؤيةِ العِلْمِيَّةِ والبَصَرِيَّةِ؛ فإنَّ أريدَ بها العِلْمِيَّةُ فقد أعلَمَهُ اللهُ تعالى بجميعِ مَنْ يَؤْمِنُ؛ سواءً رآه أَوْ لم يَرَهُ، وإنَّ أريدَ بها البَصَرِيَّةُ فإنَّه ﷺ رأى الجَمَّ الغفيرَ مِنَ المُتَوافِدِينَ.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِفَعْلِ (الدُّخُولِ) مُضَارِعًا:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِفَعْلِ (الدُّخُولِ) مُضَارِعًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَأَيْتِ النَّاسَ يَدْخُلُونَ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ بِصِيغَتِهِ عَلَى الْحُصُولِ الْإِسْلَامَ بَعْضُهُمْ وَرَاءَ بَعْضٍ، وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِحْضَارِ الْمَاضِي وَكَأَنَّهُ يَقَعُ الْآنَ؛ إِذْ رُؤْيَتْهُمْ فِي الْمَاضِي تَدُلُّ عَلَى الدُّخُولِ الْمَاضِي، فَالتَّعْبِيرُ عَنْهُ بِالْحَالِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِحْضَارِ تِلْكَ الصُّورَةِ الْمُهَيْبَةِ لَذَلِكَ التَّوَافِدِ الْكَبِيرِ، الْمُنْسَجِمِ مَعَ النَّصْرِ وَالْفَتْحِ الْمُبِينِ، وَلِيَدُلَّ بِمَا دَتِهِ عَلَى الْإِنْضَاءِ تَحْتَ رَايَةِ الْإِسْلَامِ، مَعَ إِعْلَانِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ.

دَلَالَةُ إِسْنَادِ الْفَعْلِ إِلَى ضَمِيرِ الْجَمْعِ (الْوَاوِ):

أَسْنَدَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ فَعْلَ (الدُّخُولِ) إِلَى ضَمِيرِ الْجَمْعِ (الْوَاوِ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَأَيْتِ النَّاسَ يَدْخُلُونَ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الدُّخُولَ بَعْدَ مَجِيءِ النَّصْرِ وَتَحَقُّقِ الْفَتْحِ يَكُونُ جَمَاعِيًّا⁽²⁾، وَأَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ فَرْدِيٌّ⁽³⁾.

دَلَالَةُ الْمَوْقِعِ الْإِعْرَابِيِّ لِجُمْلَةِ ﴿يَدْخُلُونَ﴾:

أَوْقَعَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ الْجُمْلَةَ الْفَعْلِيَّةَ ﴿يَدْخُلُونَ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَأَيْتِ النَّاسَ يَدْخُلُونَ﴾ إِمَّا فِي مَوْقِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي؛ بِنَاءً عَلَى أَنَّ

استحضارُ الماضي
بأسلوبِ الحال
بيانٌ لمُهَابَةِ
ذلكِ الجَمْعِ
والاحتفالِ

الدُّخُولُ
الجماعيُّ دليلٌ
عظيمةُ الفَتْحِ
الإلهيِّ

الدُّخُولُ فِي
الدِّينِ هَيْئَةً تَلِيْقُ
بِالوَائِقِينَ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 32 / 340.

(2) الواحدي، التفسير البسيط: 24 / 400.

(3) الهريري، حقائق الروح والزيجان: 32 / 407.

(الرُّؤْيَا) عِلْمِيَّةٌ تَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ، وَالتَّقْدِيرُ: (وَاعْتَقَدَتِ النَّاسُ دَاخِلِينَ) بِمَا سَمِعَتْ مِنْ أَخْبَارٍ يَقِينِيَّةٍ تُنَبِّئُ عَنْ ذَلِكَ⁽¹⁾، أَوْ فِي مَوْقِعِ الْحَالِ؛ بِنَاءً عَلَى أَنَّ (الرُّؤْيَا) بَصْرِيَّةٌ تَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، وَالتَّقْدِيرُ: (أَبْصَرَتِ النَّاسُ حَالَ كَوْنِهِمْ دَاخِلِينَ)، فَيَكُونُ تَقْيِيدًا لِلْإِبْصَارِ بِتِلْكَ الْحَالِ، وَبَيَانًا لِهَيْئَةِ النَّاسِ وَتَوْضِيحًا لِحَالِهِمْ⁽²⁾.

دلالة الاستعارة التصريحية التبعية في الجار:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِحَرْفِ الْجَرِّ ﴿فِي﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ الْمَجَازِيَّةِ⁽³⁾؛ إِذْ شَبَّهَ الْمُلَابَسَةَ وَالِاتِّصَاقَ بِالدِّينِ بِمُلَابَسَةِ الْمَظْرُوفِ لِلظَّرْفِ⁽⁴⁾، فَاسْتَعَارَ الْحَرْفَ ﴿فِي﴾ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمُلَابَسَةِ؛ مُبَالَغَةً فِي الدُّخُولِ فِي الدِّينِ، وَإِظْهَارًا لَشِدَّةِ الْمُلَابَسَةِ الْإِتِّصَاقِيَّةِ بِهِ.

دلالة الإضافة في ﴿دين الله﴾:

أَضَافَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ لَفْظَ ﴿دِين﴾ إِلَى الْاسْمِ الْجَلِيلِ ﴿اللَّهِ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَعْرِيفِ الدِّينِ وَتَمْيِيزِهِ عَنِ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تُسَمَّى دِينًا مَجَازًا، وَبَيَانًا لَكَوْنِ الْإِسْلَامِ هُوَ الدِّينَ الْمُنْتَسِبَ إِلَى الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ بِالْقَبُولِ وَالرُّضَا؛ لِأَنَّهُ الْمُشْرَعُ وَالْمُنْزِلُ لَهُ، وَمَا عَدَاهُ اخْتِرَاعٌ وَتَحْرِيفٌ وَضَلَالٌ؛ فَالْإِضَافَةُ لِلْعَهْدِ الصَّادِقِ بِالْإِسْلَامِ، وَاكْتَسَبَ الْمُضَافُ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَتَفْخِيمًا.

دلالة الاستعارة الكنيّة في ﴿دين﴾:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِلَفْظِ ﴿دِين﴾ ظَرْفًا لِلدَّخْلِ فِيهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَأَيْتِ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾؛ مَعَ أَنَّ الدِّينَ أَمْرٌ

تشبيه العداقة
التلّسّية
بالعداقة
الظرفيّة

الإضافة
العهديّة دالّة
على انحصار
الدّيانة في
الشريعة
الإسلاميّة

الدّين وحدة
اجتماعيّة
ورابطة متينة
قلبيّة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 592 / 30.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 339 / 32.

(3) السمين الحلبي، الدّر للصون: 140 / 11.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 592 / 30.

معنوي؛ إذ هو جملة من الأحكام والاعتقادات التي تجري في قلوب المؤمنين بها، وكون الناس داخلين فيه يدل على أن الدين قد شبه (ب) بيت) مثلاً يدخله الناس، ثم حُذِفَ المشبه به، وأُبقِيَ من خواصه ولوازمه الدُخُول⁽¹⁾.

والغرض من الاستعارة: إضفاء الصفة الحسنة على الدين، وجعله مكاناً يحوي الداخلين فيه، مما يُضفي عليهم جَوْاً من الانسجام والتعايش، يُميّزهم عن الداخلين في غيره أو المُشرّدين في ظلمات الأوهام وجهالات القفار والفيافي.

دلالة الموقّع الإعرابي ﴿أَفْوَاجًا﴾:

مهابة القدوم
جديرة بإزاحة
الهموم

عبّر النظم الكريم بلفظ ﴿أَفْوَاجًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾؛ للدلالة على الحال المبيّنة لهيئة الداخلين بأنهم جماعات متوالية ومتوافدة؛ احترازاً عن الدُخُول الفرديّ الأحادي⁽²⁾، وتُسمّى الحال يكون صاحبها واقعاً في جملة حال سابقة الحال المتداخلة؛ فيُفيد تقييد المُقَيّد؛ إذ الدُخُول قيد للرؤية، والأفواج قيد للداخلين من الناس، فتكون الرؤية مقيدة بالداخلين على هيئة الأفواج مما يُرجّح كون الرؤية بصرية، وأفاد الحال دلالة القدوم بهيئة مهيبة في النفوس، دالة على عظمة النصر، مع تحقيق الإنجاز للتكليف النبويّ بالتبليغ والدعوة إلى الله تعالى.

سرّ التعبير بصيغة الجمع ﴿أَفْوَاجًا﴾:

جمع الجماعة
لإضفاء الحركة
المتابعة

عبّر النظم الكريم بصيغة الجمع ﴿أَفْوَاجًا﴾ في قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾؛ للدلالة على الجماعات المتتابعة؛ إذ الفوج يُطلق على الجماعة الكثيرة⁽³⁾، فيكون جمعه دالاً على التتابع

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 592 / 30.

(2) الهرري، حقائق الروح والزيجان: 407 / 32.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 593 / 30.

لذلك الأفواج المتكاثرة على مدِّ البصر، قال القنونيُّ مُعلِّقاً على عبارة البيضاوي: "جماعات كثيفة" ما نصُّه: "أي كثيرة، وإطلاق (الكثيفة) عليها استعارة للمبالغة، وللاشارة إلى أن كل جماعة من تلك الجماعات كثيرة كثيفة، فلا ينافي التعبير بـ ﴿أَفْوَاجًا﴾ أي: جماعات متفرقة"⁽¹⁾، فهي وإن كانت متفرقة لكنها متتابعة، وما ذلك إلا أمرٌ خارق للعادة، ناسبه التعبيرُ عنه بالنصر الإلهي العظيم في ﴿جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾.

سرُّ التعبير بـ (الفاء)، والغرض منها:

عبر النظم الكريم بـ (الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؛ للدلالة على رَبط الجواب بالشَّرط المفيد لتسبُّب التسبيح عمّا قبله تسبُّباً يفيدُ المسارعة؛ لما فيها من معنى التعقيب السببي بلا مُهلة، أي: إذا حصل ما تقدّم فانشغل بالتسبيح⁽²⁾.

دلالة فعل (التسبيح) مادّةً وصيغةً:

عبر النظم الكريم بفعل (التسبيح) أمراً في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؛ للدلالة بصيغته على الطلب المفيد للوجوب على سبيل المبالغة والتكثير؛ وليدّل بمادّته على التنزيه والتبديد لله تعالى عن سمات النقص والعجز والضعف، ثم اختلف المفسرون في دلالاته على (التسبيح) الحقيقي والمجازي على التفصيل الآتي:

أولاً: المعنى الحقيقي: قال القنوني: "أي: التسبيح على حقيقته"⁽³⁾، وبين ابن عاشور أن المراد بالتسبيح نوع خاص من التسبيح، فقال: "وإنما يحتاج إلى تذكيره بتسبيح خاص لم يحصل من قبل في تسبيحاته"⁽⁴⁾.

المسارعة إلى
التسبيح عقب
تحقق نتائج
التكليف

من كان شأنه
التسبيح فإن
أمره به يدل على
الثناء الخاص
للمليح

(1) القنوني، حاشية على تفسير البيضاوي: 474 / 20.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 594 / 30.

(3) القنوني، حاشية على تفسير البيضاوي: 476 / 20.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 594 / 30.

ثانيًا: المعنى المجازي: وهو يحتمل علاقَتين منه على التفصيل الآتي:
 علاقة السَّبِيحَة: قال القونوي: " (التَّسْبِيحُ) قد يُسْتَعْمَلُ في معنى (التَّعْجُبِ) مَجَازًا مُرْسَلًا؛ لِأَنَّ مَنْ رَأَى شَيْئًا عَجَبًا يَقُولُ: (سُبْحَانَ اللَّهِ) فيكون سببًا"⁽¹⁾، وجوزَه ابنُ عاشور بقوله: "وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّسْبِيحُ الْمَأْمُورُ بِهِ تَسْبِيحَ ابْتِهَاجٍ وَتَعْجُبٍ مِنْ تَيْسِيرِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ مَا لَا يَخْطُرُ بِبَالٍ أَحَدٍ أَنْ يَتِمَّ لَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ (سُبْحَانَ اللَّهِ) وَنَحْوَهُ يُسْتَعْمَلُ فِي التَّعْجُبِ"⁽²⁾.

ذكرُ الجُزءِ وإرادةُ الكلِّ: قال القونوي " التَّسْبِيحُ مجازٌ عن الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّ التَّسْبِيحَ من أجزائها، هذا بناءٌ عَلَى أَنَّ مُطْلَقَ الجُزءِ، سواءً كَانَ الكلُّ مُنْتَفِيًا بَانْتِفَائِهِ كَالسُّجُودِ، أَوْ لَا كَالتَّسْبِيحِ"⁽³⁾.

والَّذِي يَتَّجِهُ أَنَّ الأَمْرَ بِالتَّسْبِيحِ بصيغةِ الفعلِ دالٌّ على إِنْجَازِ فعلٍ متعلِّقٍ بالكعبة، وهو تطهيرُها مِنَ الأصْنَامِ والأوثان، وليس المرادُ منها التَّسْبِيحُ القَلْبِيَّ أَوِ اللِّسَانِيَّ أَوِ المعنى التَّعْجُبِيَّ أَوِ الصَّلَاةَ؛ لِأَنَّ الكعبةَ كانت قَبْلَ الفَتْحِ مليئةً بالأصْنَامِ والأوثان، ولا يَتَسَنَّى الطَّوَافُ والصَّلَاةُ إِلَيْهَا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ، فَأَمَرَ بِالتَّسْبِيحِ لِلَّهِ بصيغةِ الفعلِ الدَّالِّ عَلَى الْحُدُوثِ لِإِنْجَازِ فعلِ التَّطْهِيرِ، فيكونُ مُسَبِّحًا بالفعل، فهو مجازٌ استعاريٌّ قائمٌ عَلَى استعارةِ التَّسْبِيحِ للتَّطْهِيرِ استعارةً تصرِيحِيَّةً تبعيَّةً.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِ(البَاءِ)، والغَرَضُ منها:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِ(البَاءِ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمُصَاحَبَةِ وَالْمُلَابَسَةِ، فَتَكُونُ (البَاءُ) بِمعنى (مع)، وَالتَّقْدِيرُ: (صَاحِبِ التَّسْبِيحِ بِالتَّحْمِيدِ وَمَعَهُ)، وَالْأَصْلُ فِي

المَعِيَّةُ دَالَّةٌ عَلَى
التَّعْبِيَّةِ

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 475 / 20.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 594 / 30.

(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 475 / 20.

(الباء) بِمَعْنَى (مَعَ) أَنْ تَدْخُلَ عَلَى الْمَتْبُوعِ، فَيُقَالُ: (جَاءَ الْوَزِيرُ مَعَ السُّلْطَانِ) وَلَا يُقَالُ: (جَاءَ السُّلْطَانُ مَعَ الْوَزِيرِ)، فَيَكُونُ التَّسْبِيحُ تَابِعًا لِلتَّحْمِيدِ، وَالْمَعْنَى: أَثْنٌ عَلَى رَبِّكَ وَاحْمَدُهُ بِتَبِيعَةِ التَّسْبِيحِ وَالتَّنْزِيهِ، فَالتَّسْبِيحُ وَإِنْ ذُكِرَ لَفْظًا قَبْلَ التَّحْمِيدِ، لَكِنَّهُ تَابِعٌ لَهُ تَحْقُوقًا، قَالَ ابْنُ عَاشُورٍ: "وَقَرَنَ التَّسْبِيحَ بِالْحَمْدِ بِ(بَاءِ الْمُصَاحَبَةِ) الْمُقْتَضِيَةِ أَنَّ التَّسْبِيحَ لَاحِقٌ لِلْحَمْدِ؛ لِأَنَّ بَاءَ الْمُصَاحَبَةِ بِمَعْنَى (مَعَ)؛ فَهِيَ مِثْلُ (مَعَ) فِي أَنَّهَا تَدْخُلُ عَلَى الْمَتْبُوعِ، فَكَانَ حَمْدُ اللَّهِ عَلَى حُصُولِ النَّصْرِ وَالْفَتْحِ وَدُخُولِ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ شَيْئًا مَفْرُوعًا مِنْهُ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْأَمْرِ بِإِيْقَاعِهِ"⁽¹⁾.

دلالة موقع الجار والمجرور ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾:

أَوْقَعَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ الْجَارَ وَالْمَجْرُورَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ مَوْقِعَ الْحَالِ، وَالتَّقْدِيرُ: (فَسَبِّحْ حَامِدًا رَبَّكَ)، أَوْ (مُلْتَبِسًا بِحَمْدِ رَبِّكَ)⁽²⁾، وَهُوَ حَالٌ مَقْدَرَةٌ؛ أَي: سَبِّحْ حَالِ كَوْنِكَ نَاوِيًا الْحَمْدَ، وَمُقَدَّرًا لَهُ الْحَصُولُ، وَفِي هَذَا الْاِمْتِزَاجِ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ دَلَالَةٌ عَلَى أَهَمِّيَّةِ التَّنْزِيهِ وَالثَّنَاءِ عَلَى الْمَلِكِ الْمَعْبُودِ.

دلالة تقديم التسبيح على التَّحْمِيدِ:

قَدَّمَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ التَّسْبِيحَ عَلَى التَّحْمِيدِ لَفْظًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ التَّسْبِيحَ الَّذِي هُوَ التَّنْزِيهُ تَخْلِيَةٌ لِلْجَنَابِ الْمُقَدَّسِ عَنْ صِفَاتِ النِّقْصِ، وَأَنَّ الْحَمْدَ الَّذِي هُوَ الثَّنَاءُ بِالْجَمِيلِ عَلَى الْجَمِيلِ الْاِخْتِيَارِيُّ هُوَ التَّحْلِيَةُ لِلْمَوْلَى الْجَلِيلِ بِنُعُوتِ الْإِكْرَامِ وَالْعِظَمَةِ، وَالتَّحْلِيَةُ مُتَقَدِّمَةٌ عَلَى التَّحْلِيَةِ.

نُكْتَةٌ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ اسْمًا فِي ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾:

أَضَافَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ لَفْظَ (الْحَمْدِ) مَصْدَرًا إِلَى (الرَّبِّ)

الْمَزْجُ بَيْنَ
التَّسْبِيحِ وَالثَّنَاءِ
دَالٌّ عَلَى الشُّوقِ
وَالْفَنَاءِ

تقديم التَّنْزِيهِ
لِلتَّحْلِيَةِ،
وَتَأْخِيرُ التَّحْمِيدِ
لِلتَّحْلِيَةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 594.

(2) القنوني، حاشية على تفسير البيضاوي: 20 / 475.

دوام الحمد
وثباته، وتجدد
التسبيح
وحدوثه

في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؛ للدلالة على توجيه الحمد للرب تعالى، تمييزاً له عن الحمد الموجه للأرباب الباطلة، فهو من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعل الحمد مستتر يعود إلى فاعل التسبيح، وحذف المسبَّح له من جملة الأمر، ودل عليه لفظ الرب من إضافة الحمد. وإنما عبّر عن التسبيح بالفعل والحمد بالمصدر؛ لأن التسبيح فعل يقع على سبيل الحدوث والتجدد في المستقبل، بخلاف الحمد الدال على الدوام والثبات.

نكتة إضافة المشتق إلى الضمير في ﴿رَبِّكَ﴾:

تمييز الرب
وتعيينه،
وتمجيد الرسول
وتفخيمه

أضاف النظم الكريم الاسم المشتق (رب) إلى ضمير مخاطب (الكاف) في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؛ للدلالة على التعيين والتعريف؛ إذ إضافة النكرة إلى الضمير تُكسبها التَّعْيِينَ والتَّمَيِّزَ، والغرض من التعريف تمييز الرب الحقيقي عن بقية الأرباب الباطلة، كما أفادت الإضافة تشريفاً وتعظيماً لقدر النبي الكريم ﷺ، فالمضاف اكتسب التعريف، والمضاف إليه اكتسب التفخيم.

دلالة ذكر لفظ الاسم الأحسن (الرب) دون العلم الجليل:

معرفة الله
وحده تتعارض
مع تسمية
الأصنام أرباباً
باطلة

عبّر النظم الكريم بلفظ (الرب) دون العلم الجليل (الله) في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، مع أنه عبّر بالعلم في الآيتين السابقتين فقال: ﴿جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ وقال: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾؛ لأنَّ عنوان الربوبية يتناسق مع طلب التسبيح والتحميد والاستغفار؛ إذ الربوبية تُشعر بالعلّة لإيجاد تلك الأحداث، فيكون ذكر (الرب) مشتقاً لإفادة التعليل؛ أي: لأنّه ربك وتولّى العناية بك، وحقّق لك ما كنتَ تصبو إلى تحقيقه، فأنجز له التسبيح والتحميد والاستغفار.

وأما عنوان الألوهية واستحقاق العبادة والتعرّف إليه بالذات الجليّة التي يدل عليها العلم فيتناسق مع الإخبار بمجيء النصر

الإلهي ودخول الناس في دينه؛ فالنصر والدين أمران منسوبان إلى الذات بعنوان الألوهية، كما أفاد التعبير بلفظ (الرب) عن تلك الذات المعبّر عنها بالاسم العلم الإشارة إلى أن الله هو الرب الحقيقي، وأما الأرباب المدعوّة من دونه فليست أرباباً، ويكون بذلك التقديم للفظ الألوهية على لفظ الربوبية إنكاراً لمعتقدهم أنه الله، ويدعون من دونه أرباباً يُشركون بها الله في العبودية.

دلالة العدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر:

وضع النظم الكريم الظاهر (الرب) بدلاً من ضمير الغيبة في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، وكان المناسب مع تقدّم ذكر العلم الجليل مرّتين أن يقول: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ)؛ "لما في صفة (رب) وإضافتها إلى ضمير مخاطب من الإيماء إلى أن من حكمة ذلك النصر والفتح ودخول الناس في الإسلام نعمة أنعم الله بها عليه، إذ حصل هذا الخير الجليل بواسطته، فذلك تكريم له وعناية به، وهو شأن تلطف الرب بالمربوب؛ لأنّ معناه السيادة المرفوعة بالرّفق والإبلاغ إلى الكمال" (1).

دلالة (الواو) والغرض منها:

عبّر النظم الكريم بـ (الواو) في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾؛ للدلالة على العطف المفيد للجمع والاقتران بين التسبيح والتحميد والاستغفار، وكلّها مطلوبة الإنجاز، فالجامع بين المعطوف والمعطوف عليه من التسبيح الممزوج بالحمد عقلي؛ لاتّحاد ذات المسند إليه، كما أنّ التسبيح والتحميد راجعان إلى ملاحظة الربّ والخالق، والاستغفار راجع إلى ملاحظة حال المخلوق (2)، والجامع بينهما خيالي، كما يقتضي عطف "الأمر باستغفار الله تعالى على

التكريم
والعناية
بالرسول
المستحقّ للرعاية

الجنح بين
التسبيح
والاستغفار
استعداداً
لدارت حال لدار
القرار

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 595 / 30.

(2) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 2042 / 10.

الْأَمْرَ بِالتَّسْبِيحِ مَعَ الْحَمْدِ أَنَّهُ مِنْ حَيْزِ جَوَابِ ﴿إِذَا﴾، وَأَنَّهُ اسْتِغْفَارٌ يَحْصُلُ مَعَ الْحَمْدِ، مِثْلَمَا قُرِّرَ فِي ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، فَيُدُلُّ عَلَى أَنَّهُ اسْتِغْفَارٌ خَاصٌّ؛ لِأَنَّ الْإِسْتِغْفَارَ الَّذِي يَعْهُمُ طَلَبُ غُفْرَانِ التَّقْصِيرِ وَنَحْوِهِ مَأْمُورٌ بِهِ مِنْ قَبْلُ، وَهُوَ مِنْ شَأْنِ النَّبِيِّ ﷺ⁽¹⁾.

دلالة فعل (الاستغفار) مادةً وصيغةً:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِفَعْلِ (الاستغفار) أَمْرًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ بِصِيغَتِهِ عَلَى طَلَبِ الْغُفْرَانِ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ وَالْكَثْرَةِ، وَلِيُدُلَّ بِمَادَّتِهِ عَلَى سِتْرِ وَتَغْطِيَةٍ، لَكِنَّ الْأَمْرَ لِلرَّسُولِ ﷺ - وَهُوَ الْمَعْصُومُ عَنِ الذَّنُوبِ كَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا - بِالْإِسْتِغْفَارِ اسْتَدْعَى تَأْوِيلَهُ، فَقَرَّرَ الزَّمْخْشَرِيُّ أَنَّ الْأَمْرَ "بِالْإِسْتِغْفَارِ مَعَ التَّسْبِيحِ تَكْمِيلٌ لِلْأَمْرِ بِمَا هُوَ قِوَامُ أَمْرِ الدِّينِ، مِنْ الْجَمْعِ بَيْنَ الطَّاعَةِ وَالْإِحْتِرَاسِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَلِيَكُونَ أَمْرُهُ بِذَلِكَ مَعَ عِصْمَتِهِ لُطْفًا لِأُمَّتِهِ، وَلِأَنَّ الْإِسْتِغْفَارَ مِنَ التَّوَاضُّعِ وَهَضْمِ النَّفْسِ، فَهُوَ عِبَادَةٌ فِي نَفْسِهِ"⁽²⁾، كَمَا أَنَّ "اسْتِغْفَارَهُ ﷺ لَأَنَّهُ كَانَ دَائِمًا فِي التَّرْقِي، إِذَا تَرَقَّى إِلَى مَرْتَبَةٍ اسْتَغْفَرَ لَهَا قَبْلَهَا، وَقِيلَ: لِتَعْلِيمِ أُمَّتِهِ"⁽³⁾، وَ"يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ اسْتِغْفَارُهُ ﷺ لَمَا يَعْرِفُ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ، فَيَرَى أَنَّ عِبَادَتَهُ وَإِنْ كَانَتْ أَجَلٌ مِنْ عِبَادَةِ جَمِيعِ الْعَابِدِينَ، فَهِيَ دُونَ مَا يَلِيقُ بِهَذَا الْجَلَالِ"⁽⁴⁾. وَالَّذِي يَتَّبِعُ أَنَّ أَمْرَهُ ﷺ بِالْإِسْتِغْفَارِ عَنْ ذَنْبٍ لَوْ صَدَرَ لَاسْتِحْقَاقُ الْإِسْتِغْفَارِ عَلَيْهِ، لَكِنَّهُ لَا يَصْدُرُ وَلَنْ يَصْدُرَ، وَلِذَا كَانَ شُكْرًا عَلَى نِعْمَةِ عَدَمِ الصُّدُورِ مِنْهُ.

دلالة تعليق (التسبيح والتحميد والاستغفار) على الشرط:

عَلَّقَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ الْأَمْرَ بِالتَّسْبِيحِ الْمُقْتَرِنَ بِالتَّحْمِيدِ مَعَ الْأَمْرِ

استغفار
للمعصوم عبادة
وشكر في
العموم

تعليق المذكورات
بخصوص
الشرط دال على
اختلاف النمط

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 595/30.

(2) أبو حيان، البحر المحیط: 564/10.

(3) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 2041/10.

(4) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 2041/10.

بالاستغفار على تحقق الشرط من النصر والفتح ودخول الناس في الدين أفواجاً في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْ﴾؛ للدلالة على أن التسبيح الممزوج بالحمد والاستغفار من نوع خاص مرتبط بما حصل له ﷺ، من إتمام الأمر واكتمال النعمة ووصول الدعوة إلى هدفها المنشود، فيكون ربط هذه التسبيحات والتحميدات والاستغفارات بإتمام الأمر كناية رمزية على قرب ارتحال المصطفى الكريم ﷺ من دار الدنيا إلى دار الآخرة⁽¹⁾؛ وذلك لأنه ﷺ لم يكن ينفك عن التسبيح والتحميد والاستغفار خلال سني حياته الشريفة، فيكون في تخصيص ذلك بحصول الإتمام للأمر دليل على أنه تسبيح خاص، وتحميد خاص، واستغفار خاص، يليق بالارتحال والانتقال.

دلالة تقديم التسبيح والتحميد على الاستغفار:

قدّم النظم الكريم التسبيح المقترن بالتحمد على الاستغفار في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْ﴾؛ "لأن التسبيح راجع إلى وصف الله تعالى بالتّزّه عن النّقص، وهو يجمع صفات السّلب، فالّتسبيح ممتّحض لجانب الله تعالى، ولأنّ الحمد ثناء على الله لإنعامه، وهو أداء العبد ما يجب عليه لشكر النّعم؛ فهو مستلزم إثبات صفات الكمال لله التي هي منشأ إنعامه على عبده، فهو جامع بين جانب الله وحظّ العبد، وأمّا الاستغفار فهو حظّ للعبد وحده؛ لأنّه طلبه من الله أن يعفو عمّا يؤاخذّه عليه"⁽²⁾، كما أن في "تقديم الأمر بالتسبيح والحمد على الأمر بالاستغفار تمهيداً لإجابة استغفاره، على عادة العرب في تقديم الثناء قبل سؤال الحاجة؛ فإن رسول الله ﷺ لم يكن يخلو عن تسبيح الله، فأريد تسبيح يقارن الحمد على ما أعطيه من النصر والفتح، ودخول الأمة في الإسلام"⁽³⁾.

لنيل الغفران
يقدم التسبيح
والثناء على
الرحمن

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 595 / 30.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 595 / 30.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 594 / 30.

دلالة اللَّفِّ والنَّشْرِ للترتيب:

توالي الإخبار
بالنعم يتوافق
مع الشكر على
المن

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِأَسْلُوبِ (اللَّفِّ والنَّشْرِ الْمُرْتَّبِ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾؛ إِذِ الْأَمْرُ بِالتَّسْبِيحِ الْمُلَاسِ لِلْحَمْدِ يَدُلُّ عَلَى وَقُوعِهِ بَعْدَ الْحَمْدِ مَقْتَرِنًا بِهِ، فَيَكُونُ الْحَمْدُ مَبْدُوءً بِهِ وَمُنْتَسِقًا مَعَ ﴿نَصَرَ اللَّهُ﴾، وَالتَّسْبِيحُ الَّذِي - مِنْ جُمْلَتِهِ بِطَرِيقِ الْإِشَارَةِ - إِزَالَةُ الْأَوْثَانِ مِنَ الْكُعْبَةِ مُتَنَاسِقٌ مَعَ (فَتَحِ مَكَّةَ)، وَالِاسْتِغْفَارُ مُنْسَجِمٌ مَعَ رُؤْيَا النَّاسِ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ الْمَنْظَرَ مُسْتَحَقٌّ لِلْعُجْبِ فِي الْأَصْلِ، وَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَعْصُومًا عَنْهُ؛ فَهُوَ طَلِبُ اسْتِغْفَارٍ عَنْ ذَنْبٍ مُحْتَمَلٍ الصُّدُورِ مِنْ غَيْرِهِ، فَيَكُونُ شُكْرًا شُكْرًا عَلَى نِعْمَةٍ نِعْمَةٍ الْعِصْمَةِ وَعَدَمِ مُخَالَطَةِ الذَّنْبِ لِقَلْبِهِ الشَّرِيفِ ﷺ.

نُكْتَةٌ الْفَصْلِ فِي جُمْلَةٍ: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾:

تذليل الكلام،
وتعليل ما
يحتاج إلى
الإفهام

فَصَلَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ عَمَّا قَبْلَهُ؛ لِكُونِهِ تَذْيِيلًا مُسْتَأْنَفًا اسْتِثْنَاءً بَيَانِيًّا؛ إِذْ نَشَأَ مِنْ طَلِبِ الْاسْتِغْفَارِ سُؤَالٌ مُفَادَهُ: مَا عَلَّةُ ذَلِكَ وَمَا سَبَبُ طَلِبِ الْاسْتِغْفَارِ؟ فَأَجَابَ بِأَنَّهُ كَانَ تَوَّابًا⁽¹⁾.

نُكْتَةُ التَّعْيِيرِ بِ(إِنَّ) والغرض منها:

توكيد الكلام
لإفادة الاهتمام
بالأحكام

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِ(إِنَّ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَحْقِيقِ الْخَبَرِ وَتَأْكِيدِهِ؛ اهْتِمَامًا بِهِ وَتَنْوِيهًا بِشَأْنِهِ، وَلِلتَّعْلِيلِ لَطَلِبِ الْاسْتِغْفَارِ⁽²⁾؛ إِذِ الْجُمْلَةُ الْأَسْمِيَّةُ الْمَصْدَرَةُ بِ(إِنَّ) فِي أَمْثَالِ هَذَا الْمَقَامِ تُفِيدُ التَّعْلِيلَ، فَتَقُومُ مَقَامَ (الفاء) فِي التَّسْبِيحِ⁽³⁾.

دلالة مَرَجِعِ الضَّمِيرِ الْغَائِبِ فِي ﴿إِنَّهُ﴾:

من كمال التربية
التوفيق للتوبة

أَعَادَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ ضَمِيرَ الْغَائِبِ فِي الْجُمْلَةِ الْأَسْمِيَّةِ مِنْ قَوْلِهِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 597/30.

(2) القونوي، حاشية على تفسير البضاوي: 478/20.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 597/30.

تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ إلى لفظِ (الرَّبِّ)؛ للدلالة على أَنَّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ وَرَبَّكَ واعتنى بك، فَإِنَّهُ يُوَفِّقُكَ لِلتَّوْبَةِ ما دُمْتَ مُسَبِّحًا بِحَمْدِهِ، شَاكِرًا لِنِعْمِهِ، وذلك هو شأنُكَ الشَّرِيفُ.

سُرُّ التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ النَّاقِصِ ﴿كَانَ﴾:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِالْفِعْلِ النَّاقِصِ ﴿كَانَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾؛ للدلالة على ثُبُوتِ التَّوْبَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّوْفِيقِ لَهَا عَلَى سَبِيلِ التَّمَكُّنِ وَالِاسْتِمْرَارِ، وَأَنَّ ذَلِكَ الْقَبُولَ وَالتَّوْفِيقَ أَمْرٌ مَقْطُوعٌ بِحَصُولِهِ لِمُتَمَكِّنِهِ وَاسْتِمْرَارِهِ، وَلِذَا قَالَ ابْنُ عَاشُورٍ: "وَفِعْلُ ﴿كَانَ﴾ هُنَا مُسْتَعْمَلٌ فِي لَازِمٍ مَعْنَى الْإِتِّصَافِ بِالْوَصْفِ فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي، وَهُوَ أَنَّ هَذَا الْوَصْفَ ذَاتِيٌّ لَهُ لَا يَتَخَلَّفُ مَعْمُولُهُ عَنْ عِبَادِهِ"⁽¹⁾.

دلالة الكون
الماضي على
الاستمرار،
يومئذٍ إلى القبول
مع الإشعار

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِصِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ ﴿تَوَّابًا﴾:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِالمَشْتَقِّ ﴿تَوَّابًا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾؛ للدلالة بِصِيغَتِهِ عَلَى كَثْرَةِ قَبُولِ التَّوْبَةِ عَلَى عِبَادِهِ. وَلَا يَرْدُ أَنَّ "صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي عَلَى صِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ كُلُّهَا مَجَازٌ؛ لِأَنَّهَا مَوْضُوعَةٌ لِلْمُبَالَغَةِ، وَلَا مُبَالَغَةَ فِيهَا؛ لِأَنَّ الْمُبَالَغَةَ أَنْ يَثْبُتَ لِلشَّيْءِ أَكْبَرُ وَأَكْثَرُ مِمَّا لَهُ، وَصِفَاتُهُ تَعَالَى مَنْزَهُةٌ عَنْ ذَلِكَ، لِأَنَّ التَّحْقِيقَ أَنَّ صِيغَةَ الْمُبَالَغَةِ قِسْمَانِ؛ أَحَدُهُمَا: مَا تَحْصُلُ الْمُبَالَغَةُ فِيهِ بِحَسَبِ زِيَادَةِ الْفِعْلِ. وَالثَّانِي: بِحَسَبِ تَعَدُّدِ الْمَفْعُولَاتِ.

كثرة التوبة
بالنظر إلى أهل
الأوبة

وَلَا شَكَّ أَنَّ تَعَدُّدَهَا لَا يُوَجِّبُ لِلْفِعْلِ زِيَادَةً، إِذِ الْفِعْلُ الْوَاحِدُ قَدْ يَقَعُ عَلَى جَمَاعَةٍ مُتَعَدِّدِينَ، وَعَلَى هَذَا الْقِسْمِ تُنَزَّلُ صِفَاتُهُ. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: "الْمُبَالَغَةُ فِي التَّوْبَةِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى كَثْرَةِ مَنْ يَتَوَبُّ عَلَيْهِ، أَوْ لِأَنَّهُ بَلِيغٌ فِي قَبُولِ التَّوْبَةِ بَحِثُ يُنَزَّلُ صَاحِبُهَا مَنْزِلَةً مَنْ لَمْ يُذْنَبْ قَطُّ؛ لِسَعَةِ رَحْمَتِهِ وَكَرَمِهِ"⁽²⁾، وَفَسَّرَ ابْنُ عَاشُورِ الْمُبَالَغَةَ بِقَوْلِهِ:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 597/30.

(2) الهردي، حقائق الروح والريحان: 411/32.

"فَالْمَعْنَى: هُوَ شَدِيدُ الْقَبُولِ لِتَوْبَةِ عِبَادِهِ، كَثِيرُ قَبُولِهِ إِيَّاهَا"⁽¹⁾؛ فلم يجعل الشدّة في الفعل نفسه، بل في مُتعلِّقه وهو القَبُولُ.

دلالة المشتقّ ﴿تَوَابًا﴾ مادّة:

عبر النّظم الكريم بلفظ ﴿تَوَابًا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا﴾ المشتقّ من الفعل (تاب الله عليه)؛ للدلالة على التوفيق للتوبة والهداية لها⁽²⁾.

دلالة العدول عن (غفّارًا) إلى ﴿تَوَابًا﴾:

عدل النّظم الكريم عن صيغة المبالغة (غفّارًا)، إلى صيغة المبالغة ﴿تَوَابًا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا﴾، مع أنّ مقتضى النّظم أن يُعبّر بـ(الغفّار)؛ لأنّه المناسِبُ لطلب الاستغفار، وذلك "إيماءً إلى أنّ أمره بالاستغفار إرشادٌ إلى مقام التّأدّب مع الله تعالى، فإنّه لا يُسأل عمّا يفعل بعبادِهِ، لولا تفضُّله بما بينَ لهم من مُرادِهِ، ولأنّ وصف (توَاب) أشدُّ ملاءمةً لإقامة الفاصلة مع فاصلة ﴿أَفْوَاجًا﴾؛ لأنّ حَرَفَ الجيم وحَرَفَ الباء كليهما حَرَفٌ مِنَ الحُرُوفِ الموصوفة بالشدّة، بخلاف حَرَفِ الرَّاءِ فهو مِنَ الحُرُوفِ الّتي صِفَتُهَا بَيِّنُ الشدّة والرخوة"⁽³⁾، ولأنّ من لوازم التّوبة والتّوفيق لها المغفرة، فعبر بالملزوم كنايةً عنها، فيكون من قبيل ذِكْرِ الشّيء بدليله؛ فكأنّه قال: أغفرُ لأنّي كثيرُ التّوفيقِ للتّوبة. وعلل بعضهم العدول بقوله: "للتّبيه على أنّ الاستغفار إنّما ينفع إذا كان مع التّوبة؛ لأنّ المطلوب طلب وقاية شرّ الذّنوب الماضي بالدُّعاء والنّدم عليه، ووقاية شرّ الذّنوب المتوقّع بالعزم على الإقلاع منه، وهذا هو الَّذي يمنع الإصرار"⁽⁴⁾.

التّكنية عن
الغفّار
بالتّوفيق للتّوبة
بالبرهان

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 597/30.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 597/30.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 598/30.

(4) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 2042/10.

دلالة (التنكير) في صيغة «تَوَابًا»:

نَكَرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ لَفْظَ الْخَبَرِ «تَوَابًا» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا»؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَفْخِيمِ الصِّفَةِ وَالْمُبَالَغَةِ فِي عَظَمَتِهَا، فَإِنَّ كَانَتْ صِغَةُ الْمُبَالَغَةِ تَفِيدُ كَثْرَةً فِي مَتَعَلِّقَاتِ التَّوْبَةِ، فَإِنَّ التَّنْوِينَ يَفِيدُ التَّعْظِيمَ وَالتَّفْخِيمَ فِي التَّوْفِيقِ لِلتَّوْبَةِ وَالْهَدَايَةِ لَهَا، فَيَسْعَدُ الْمُخَاطَبُ بِذَلِكَ، وَيَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا بِقَبُولِ التَّوْبَةِ وَعَظِيمِ الْهَدَايَةِ لَهَا. قَالَ ابْنُ عَاشُورٍ: "وَقَدْ اشْتَمَلَتِ الْجُمْلَةُ عَلَى أَرْبَعِ مُؤَكِّدَاتٍ هِيَ: (إِنَّ، وَكَانَ، وَصِغَةُ الْمُبَالَغَةِ فِي التَّوَابِ، وَتَّنْوِينُ التَّعْظِيمِ فِيهِ)" (1).

تفخيم شأن
التوبة تأنيس
لطالبي القزبي

نُكْتَةُ حَذْفِ مُتَعَلِّقِ صِغَةِ الْمُبَالَغَةِ «تَوَابًا»:

حَذَفَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ مُتَعَلِّقَ الْمُشْتَقِّ «تَوَابًا» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا»، وَالتَّقْدِيرُ: (تَوَابًا عَلَى التَّائِبِينَ)، وَلَا يَقْدَرُ بِنَحْوِ: (عَلَى كُلِّ أَحَدٍ)؛ لِأَنَّ "الْكَلَامَ تَذْيِيلٌ وَتَعْلِيلٌ لِلْكَلَامِ السَّابِقِ، فَيَتَعَيَّنُ أَنَّ حَذْفَ مُتَعَلِّقِ «تَوَابًا» يَقْدَرُ بِنَحْوِ: (عَلَى التَّائِبِينَ)، وَهَذَا الْمُقَدَّرُ مُرَادٌّ بِهِ الْعُمُومُ، وَهُوَ عُمُومٌ مَخْصُوصٌ بِالْمَشِئَةِ، وَلَمَّا ذَكَرَ دَلِيلَ الْعُمُومِ عَقِبَ أَمْرِهِ بِالِاسْتِغْفَارِ، أَفَادَ أَنَّهُ إِذَا اسْتَغْفَرَهُ غُفِرَ لَهُ؛ دَلَالَةً تَقْتَضِيهَا مُسْتَنْبَعَاتُ التَّرَاكِبِ" (2).

سياق الكلم
يساعد على
تقدير ما فهم

دلالة اللَّفِّ وَالنَّشْرِ الْمُرتَّبِ:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِأَسْلُوبِ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ الْمُرتَّبِ فِي قَوْلِهِ: «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا»؛ إِذِ الضَّمِيرُ فِي «إِنَّهُ» رَاجِعٌ إِلَى الرَّبِّ الدَّالِّ عَلَى تَعْلِيلِ التَّسْبِيحِ وَالتَّوَابِ، وَ«تَوَابًا» رَاجِعٌ إِلَى «وَاسْتَغْفِرْهُ» الدَّالِّ عَلَى تَعْلِيلِ الْأَمْرِ بِهِ.

علة التسبيح
الربوبية، وعلة
الاستغفار
التوابية

دلالة (الكناية أو المجاز المرسل) في الجملة الاسمية:

كُنِيَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِالْجُمْلَةِ الْاسْمِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّهُ كَانَ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 597/30.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 597/30.

قَبُولُ تَوْبَةِ
التَّائِبِينَ،
مُسْتَلْزِمٌ إِكْرَامِ
أَعْظَمِ الْوَافِدِينَ

تَوَابًا ﴿عَنِ الْوَعْدِ لِلرَّسُولِ ﷺ﴾ "بِحُسْنِ الْقَبُولِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى حِينَمَا يَقْدُمُ عَلَى الْعَالَمِ الْقُدْسِيِّ، وَهَذَا مَعْنَى (كِتَابِي)؛ لِأَنَّ مَنْ عُرِفَ بِكَثْرَةِ قَبُولِ تَوْبَةِ التَّائِبِينَ، شَأْنُهُ أَنْ يُكْرِمَ وَفَادَةَ الْوَافِدِينَ، الَّذِينَ سَعَوْا جُهُودَهُمْ فِي مَرْضَاتِهِ بِمُنْتَهَى الْإِسْطِطَاعَةِ، أَوْ هُوَ (مَجَازٌ) بِعِلَاقَةِ اللَّزُومِ الْعُرْفِيِّ؛ لِأَنَّ مُنْتَهَى مَا يَخَافُهُ الْأَجِبَةُ عِنْدَ اللَّقَاءِ مَرَارَةَ الْعِتَابِ، فَالْإِخْبَارُ بَأَنَّهُ تَوَابٌ اقْتَضَى أَنَّهُ لَا يَخَافُ عِتَابًا" (1).

❁ الْفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

النَّصْرُ وَالْفَتْحُ:

مِنْ لَوَائِمِ النَّصْرِ
الْفَتْحُ

(النَّصْرُ): الْإِغَاثَةُ وَالْإِظْهَارُ عَلَى الْعَدُوِّ، وَمِنْهُ نَصَرَ الْغَيْثُ الْأَرْضَ إِذَا أَغَاثَهَا وَأَعَانَهَا عَلَى إِخْرَاجِ نَبَاتِهَا. وَ(الْفَتْحُ): فَتْحُ الْبَلَدِ، وَالْفَصْلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْأَعْدَاءِ (2).

فَالْعِلَاقَةُ بَيْنَ النَّصْرِ وَالْفَتْحِ عِلَاقَةُ تِلَازُمٍ؛ إِذْ يَلْزَمُ مَنْ تَحَقَّقَ النَّصْرُ وَالْغَلْبَةُ عَلَى الْأَعْدَاءِ فَتَحَ بِلَادِهِمْ وَتَمَكَّنَ مِنْ أَوْطَانِهِمْ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 597 / 30.

(2) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 2040 / 10.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والستون،
من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي أحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 68 ، 828 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 8-42-9948-978-655
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 68 : المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 8-42-9948-978-655

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-7916426 بتاريخ 2026/01/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"